

توحيد الألوهية

تأليف الشيخ:

محمد بن إبراهيم الحمد

2

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفهرس

- أ الفهرس
- ١ المقدمة
- ٣ تعريف توحيد الألوهية
- ٥ أسماءه الأخرى
- ٦ أهميته
- ٩ أدلة توحيد الألوهية
- ١١ أركان توحيد الألوهية
- ١٢ تعريف العبادة لغاً، واصطلاحاً
- ١٥ متى تقبل العبادة؟
- ١٧ أهمية الإخلاص والمتابعة
- ١٩ أركان العبادة
- ٢٢ أيهما يُغلب، الرجاء أو الخوف؟

- ٢٤ أنواع العبادة
- ٢٥ عبودية الخلق لله
- ٢٦ فضائل توحيد الألوهية
- ٢٩ أسباب نمو التوحيد في القلب
- ٣١ طرق الدعوة إلى توحيد الألوهية في القرآن الكريم
- ٣٥ علاقة توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية
- ٣٨ ما ضد توحيد الألوهية؟
- ٣٨ الفرق التي أشركت في توحيد الألوهية

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحمَّدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فغير خافٍ على من عنده أدنى إلمام بعلم العقيدة ما لتوحيد الألوهية من الأهمية؛ فهو توحيد العبادة، والعبادة هي الغاية المرضية والمحبوبة لله ﷻ وهي الغاية العظمى والمقصود الأسمى؛ فلأجلها خلقت الجنة والنار، وقام سوق الجهاد بين المؤمنين والكفار، ولأجلها أنزلت الكتب، وأرسلت الرسل. ثم إن توحيد الألوهية دعوة جميع الأنبياء والمرسلين، ومن اقتفى أثرهم من العلماء، والدعاة والمصلحين.

وفيما يلي من صفحات سيكون الحديث عن توحيد الألوهية، وذلك من

خلال المباحث التالية:

_ تعريف توحيد الألوهية.

_ أسماءه الأخرى.

_ أهمية توحيد الألوهية.

_ أدلته.

_ أركانه.

_ تعريف العبادة لغةً، واصطلاحاً.

- الفرق بين العبادة وتوحيد العبادة.
- متى تقبل العبادة؟.
- أهمية الإخلاص والمتابعة.
- أركان العبادة.
- أيُّهما يغلب، الرجاء أو الخوف؟.
- الخوف الواجب والخوف المستحب.
- أنواع العبادة.
- عبودية الخلق لله ﷻ.
- فضائل توحيد الألوهية.
- أسباب نمو التوحيد في القلب.
- طرق الدعوة إلى توحيد الألوهية في القرآن الكريم.
- علاقة توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية في القرآن الكريم.
- ما ضد توحيد الألوهية؟.
- الفرق التي أشركت في توحيد الألوهية.
- هذا ما تيسر جمعه وتفييده في هذا الباب، فأسأل الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى أن ينفع بهذه الصفحات، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم.
- والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وآله وصحبه.

مُحَمَّد بن إبراهيم الحمد

الزلفي ص.ب: ٤٦٠

www.toislam.net

تعريف توحيد الألوهية

عرف العلماء توحيد الألوهية بتعريفات متقاربة، إلا أن بعضها قد يكون أطول من بعض، فمن تلك التعريفات ما يلي:

- ١- هو إفراد الله بأفعال العباد.
- ٢- هو إفراد الله بالعبادة.
- ٣- هو إفراد الله _ تعالى _ بجميع أنواع العبادة؛ الظاهرة، والباطنة، قولاً، وعملاً، ونفي العبادة عن كل من سوى الله _ تعالى _ كائناً من كان^(١).

٤- وعرفه الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمته الله بتعريف جامع ذكر فيه حد هذا التعريف، وتفسيره، وأركانه، فقال: «فأما حدُّه، وتفسيره، وأركانه فهو أن يعلم، ويعترف على وجه العلم، واليقين أن الله هو المألوه وحده المعبود على الحقيقة، وأن صفات الألوهية ومعانيها ليست موجودة بأحد من المخلوقات، ولا يستحقها إلا الله _ تعالى _ . فإذا عرف ذلك واعترف به حقاً أفرد بالعبادة كلها؛ الظاهرة، والباطنة، فيقوم بشرائع الإسلام الظاهرة: كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد،

(١) انظر أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة المنصورة للشيخ حافظ الحكمي، ص ٥١.

والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والقيام بحقوق الله، وحقوق خلقه.

ويقوم بأصول الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره، وشره لله.

لا يقصد به غرضاً من الأغراض غير رضا ربّه، وطلب ثوابه، متابِعاً في ذلك رسول الله ﷺ.

فعقيدته ما دل عليه الكتاب والسنة، وأعماله وأفعاله ما شرعه الله ورسوله، وأخلاقه، وآدابه الاقتداءً بنبيه ﷺ في هديه، وسمته، وكل أحواله^(١).

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمته عن هذا النوع في منظومته سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد:

هذا وثاني نوعي التوحيد إفراد ربّ العرش عن نديد
أن تعبد الله إلهاً واحداً معترفاً بحقه لا جاحداً^(٢)

(١) انظر: الحق الواضح المبين لابن سعدي ١١٢ - ١١٣ والفتاوى السعدية لابن سعدي ص ١٠ - ١١، والشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في العقيدة د. عبدالرزاق العباد ١٥١ - ١٥٢.

(٢) سلم الوصول على علم الأصول، للشيخ حافظ الحكمي ص ٢٩.

أَسْمَاؤُهُ الْأُخْرَى^(١)

توحيد الألوهية يسمى بعدة أسماء منها:

- ١- توحيد الألوهية كما مر وسمي بذلك، باعتبار إضافته إلى الله، أو باعتبار الموحّد، ولأنه مبني على إخلاص التّأله، وهو أشدّ المحبة لله وحده، وذلك يستلزم إخلاص العبادة.
- ٢- توحيد العبادة؛ باعتبار إضافته إلى الموحّد وهو العبد، ولتضمنه إخلاص العبادة لله وحده.
- ٣- توحيد الإرادة؛ لتضمنه الإخلاص، وتوحيد الإرادة والمراد، فهو مبني على إرادة وجه الله بالأعمال.
- ٤- توحيد القصد؛ لأنه مبنيٌّ على إخلاص القصد المستلزم لإخلاص العبادة لله وحده.
- ٥- التوحيد الطلبي؛ لتضمنه الطلب، والدعاء من العبد لله.
- ٦- التوحيد الفعلي؛ لتضمنه لأفعال القلوب والجوارح.
- ٧- توحيد العمل؛ لأنه مبني على إخلاص العمل لله وحده.

(١) انظر تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله ص ٣٨.

أهميته

توحيد الألوهية أهم أنواع التوحيد، فمن أجل تحقيقه أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، وسلت سيوف الجهاد، وفرق بين المؤمنين والكافرين. يقول الشيخ حافظ الحكمي عن أهميته في منظومته.

وهو الذي به الإله أرسلنا رسله يدعون إليه أولاً
 وأنزل الكتابَ والتبينا من أجله وفرق الفرقانا
 وكلف الله الرسولَ المجتبي قتال من عنه تولى وأبى
 حتى يكونَ الديُّنُ خالصاً له سرا وجهراً دقه وجهله
 وهكذا أمته قد كلفوا بذا وفي نص الكتاب وصفوا^(١)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته مبيناً أهمية توحيد العبادة: «وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له، والمرضية له، التي خلق الخلق لها _ كما قال الله _ تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وبها أرسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

إلى أن قال رحمته: «وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه فقال _ تعالى _: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [١٦] يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠-١٩].

وذم المستكبرين عنها بقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].
 ونعت صفوة خلقه بالعبودية له فقال _ تعالى _ : ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦] وقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]»^(١).

وقال رحمته في موطن آخر: «واعلم أن فقر العبد إلى الله أن يعبد الله لا يشرك به شيئاً ليس له نظير فيقاس عليه، لكن يشبهه من بعض الوجوه حاجة الجسد إلى الطعام والشراب، وبينهما فروق كثيرة.

فإن حقيقة العبد قلبه وروحه، وهي لا صلاح لها إلا بإلهها الله الذي لا إله إلا هو، فلا يطمئن بالدينا إلا بذكره، وهي كادحة إليه كدحاً فملاقيته، ولا بد لها من لقائه، ولا صلاح لها إلا بلقائه، ولو حصل للعبد لذات أو سرورٌ بغير الله فلا يدوم ذلك، بل ينتقل من نوع إلى نوع، ومن شخص إلى شخص، ويتنعم بهذا في وقت وفي بعض الأحوال، وتارة أخرى يكون ذلك الذي يتنعم به والتذ غير منعمٍ ولا ملتذٍ له، بل قد يؤديه اتصاله به، ووجوده عنده، ويضره ذلك.

وأما إلهه فلا بد له منه في كل حال، وكل وقت، وأينما كان فهو معه، ولهذا قال إمامنا إبراهيم الخليل: ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦].

(١) العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٣٩ _ ٤٠ طبعة المكتب الإسلامي.

وكان أعظم آية في القرآن الكريم: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]»^(١).

وقال رحمه الله: «فليس في الكائنات ما يسكن العبد إليه، ويطمئن به، ويتنعم بالتوجه إليه إلا الله سبحانه ومن عبد غير الله وإن أحبه، وحصل به مودة في الحياة الدنيا، ونوع من اللذة فهو مفسدة لصاحبه أعظم من مفسدة التذاذ أكل الطعام المسموم»^(٢).

وقال رحمه الله: «واعلم أن كل من أحب شيئاً غير الله فلا بد أن يضره محبوبه، ويكون ذلك سبباً لعذابه»^(٣).

وقال: «فمن أحب شيئاً غير الله فالضرر حاصل له إن وجد أو فقد، فإن فقد عُدِّبَ بالفراق وتألم، وإن وجد فإنه يحصل له من الألم أكثر مما يحصل له من اللذة، وهذا أمر معلوم بالاعتبار بالاستقراء.

وكل من أحب شيئاً دون الله لغير الله فإن مضرته أكثر من نفعه؛ فصارت المخلوقات وبالاً عليه، إلا ما كان لله وفي الله؛ فإنه كمال وجمال للعبد.

وهذا معنى ما يروى عن النبي ﷺ أنه قال: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه»^{(٤)(٥)}.

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢٤/١ - ٢٥.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٤/١.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٨/١.

(٤) مجموع الفتاوى ٢٩/١.

(٥) أخرجه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢)، وقال الترمذي حسن غريب، وحسنه

الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٤١٤).

وقال الشيخ ابن سعدي رحمه الله مبيناً أهمية هذا النوع: «وهذا الأصل أعظم الأصول على الإطلاق، وأكملها، وأفضلها، وأوجبها، وألزمها لصلاح الإنسانية، وهو الذي خلق الله الجن والإنس لأجله، وخلق المخلوقات، وشرع الشرائع لقيامه، وبوجوده يكون الصلاح، وبفقدته يكون الشر والفساد، وجميع الآيات القرآنية إما أمر بحق من حقوقه، أو نهي عن ضده، أو إقامة حجة عليه، أو بيان جزاء أهله في الدنيا والآخرة، أو بيان الفرق بينهم وبين المشركين»^(١).

ومما يدل على أهميته أن قبول الأعمال متوقف عليه، وأنه يتضمن جميع أنواع التوحيد فكلها تدخل فيه؛ فمن اعتقده فهو معتقد لغيره من الربوبية والأسماء والصفات، ومن اكتفى بغيره دونه لم يدخل في دين الإسلام.

أدلة توحيد الألوهية

لقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة، وتنوعت دلالتها في وجوب إفراد الله بالعبادة؛ فتارة تأتي نصوص الكتاب أمراً بتوحيد الله أمراً مباشراً، وتارة تأتي مبينةً للغاية من خلق الجن والإنس، وتارة تأتي موضحةً الهدف من إرسال الرسل وإنزال الكتب، وتارة تأتي محذرةً من مخالفته، وتارة تأتي لبيان ثواب من عمل به في الدنيا والآخرة، وتارة لبيان عقوبة من تركه، وتخلي عنه، أو ناوأه، وحارب أهله.

(١) انظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن لابن سعدي، ص ١٩٢.

فمن تلك الأدلة من الكتاب والسنة على وجود إفراد الله بالعبادة قوله _
 تعالى _ : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
 لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [البقرة: ٢١]، وقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود:
 ١٢٣]، وقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣٦﴾﴾ [فريش: ٣]، وقوله: ﴿وَاعْبُدُوا
 اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ
 رَبِّي كُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبِّيكَ
 أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا
 لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي
 جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩]، وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
 نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاحة: ٥]، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي
 إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي
 كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ومن السنة ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن معاذ رضي الله عنه قال: كنت رديف
 النبي ﷺ على حمار فقال لي: «يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق
 العباد على الله؟»

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله
 أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً.

قلت: أفلا أبشر الناس؟

قال: لا تبشرهم فيتكلموا»^(١).

(١) البخاري ١٦٤/٨، ومسلم ٥٨/١، والترمذي ٢٦/٥.

أركان توحيد الألوهية^(١)

توحيد الألوهية يقوم على أركان ثلاثة هي:

- ١_ **توحيد الإخلاص**: ويسمى توحيد المراد، فلا يكون للعبد مرادٌ غير مراد واحد وهو الله سبحانه وتعالى فلا يزاحمه مرادٌ آخر.
- ٢_ **توحيد الصدق**: ويسمى توحيد إرادة العبد، وذلك بأن يبذل جهده وطاقته في عبادة ربه.

٣_ **توحيد الطريق**: وهو المتابعة للرسول ﷺ.

قال ابن القيم رحمته:

- فلواحدٍ كن واحداً في واحدٍ أعني سبيل الحق والإيمان
 فقوله: (فلواحدٍ): أي لله، وهذا هو توحيد المراد.
 وقوله: (كن واحداً): في عزمك، وصدقك، وإرادتك، وهذا هو توحيد الإرادة.

وقوله (في واحد): هو متابعة الرسول ﷺ الذي هو طريق الحق والإيمان، فهذا هو توحيد الطريق^(٢).

والأدلة على هذه الأركان الثلاثة كثيرة، فمن أدلة الإخلاص قوله _ تعالى
 : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة: ٥]، ودليل

(١) انظر: الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، ص ١٥٢، والأسئلة

والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية للشيخ عبدالعزيز السلطان ص ٤٢ _ ٤٣.

(٢) انظر: شرح القصيدة النونية لابن القيم، شرح الشيخ محمد خليل هراس، ١٣٤/٢.

الصدق قوله _ تعالى _ : ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا﴾ [محمد: ٢١]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، ودليل المتابعة قوله _ تعالى _ : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

فمن اجتمعت له هذه الثلاثة نال كل كمال وسعادة وفلاح، ولا ينقص كمال العبد إلا بنقص واحد من هذه الأشياء.

تعريف العبادة لغةً، واصطلاحاً

تعريف العبادة لغةً: هي التذلل والخضوع فيقال بعير معبد أي مذلل، وطريق معبد أي مذلل، ذلته الأقدام.

ومنه قول طرفة بن العبد في معلقته المشهورة يصف ناقته:

تباري عتاقاً ناجيات وأتبعت وظيفاً وظيفاً فوق مور معبد^(١)

فقوله: فوق مور معبد: أي فوق طريق مذلل من كثرة السير عليه، فالمور هو الطريق.

تعريف العبادة في الاصطلاح: عرفت العبادة في الاصطلاح بعدة تعريفات، ومنها ما يلي:

١- عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله بأنها: «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»^(١).

(١) شرح المعلقات العشر للزوزني، ص ٩٧.

٢- وعرفها ابن القيم بأنها: «كمال المحبة مع كمال الذل».

وقال في النونية:

وعبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابده هما قطبان^(٢)

٣- وعرفها الشيخ ابن سعدي رحمته بعدة تعريفات منها قوله:

«العبادة روحها وحقيقتها تحقيق الحب والخضوع لله؛ فالحب التام والخضوع الكامل لله هو حقيقة العبادة، فمتى خلت العبادة من هذين الأمرين أو من أحدهما فليست عبادة؛ فإن حقيقتها الذل والانكسار لله، ولا يكون ذلك إلا مع محبته المحبة التامة التي تتبعها المحاب كلها»^(٣).

٤- وعرفها بتعريف ثانٍ فقال: «العبادة والعبودية لله اسم جامع لكل ما

يحببه الله ويرضاه من العقائد، وأعمال القلوب، وأعمال الجوارح، فكل ما يقرب إلى الله من الأفعال، والتروك فهو عبادة، ولهذا كان تارك المعصية لله متعبداً متقرباً إلى ربه بذلك»^(٤).

ومما ينبغي التنبيه عليه أن العبادة تطلق إطلاقين:^(٥)

١- الفعل الذي هو التَّعْبُد.

٢- المفعول وهو المِتَّعَبُدُّ به أو القرية.

(١) العبودية، ص ٣٨.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٣٢.

(٣) الحق الواضح المبين، ص ٥٩ - ٦٠.

(٤) الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، ص ١٦٢.

(٥) انظر القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ مُحَمَّد بن عثيمين، ١/١٠.

مثال ذلك الصلاة ففعلها عبادة وهو التعبد، وهي نفسها عبادة وهي المتعبد به.

فعلى الإطلاق الثاني تُعَرَّف العبادة بتعريف شيخ الإسلام، وعلى الإطلاق الأول تُعَرَّف بالتعريف الثاني والثالث.

أما التعريف الرابع الذي هو تعريف ابن سعدي فإنه يشمل الإطلاقين الفعل والمفعول.

ومن التعريفات لها أيضاً «الأعمال الصالحة الإرادية التي تُؤدَّى لله _ تعالى _ ويفرد بها»^(١).

وهذا يشمل الإطلاقين أيضاً.

الفرق بين العبادة وتوحيد العبادة

الفرق بينهما ظاهر؛ فالعبادة هي ذات القرية أو فعلها.

أما توحيدها فصرفها لله وحده لا شريك له.

(١) عبودية الكائنات لرب العالمين: فريد التوني، ص ٢٥.

متى تقبل العبادة؟

لا تقبل العبادة إلا إذا توفّر فيها شرطان:

١- الإخلاص لله.

٢- المتابعة للرسول ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته: «وجماع الدين أصلان: أن لا نعبد إلا الله، ولا نعبد إلا بما شرع، لا نعبد بالبدع، كما قال _ تعالى _: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].»

وذلك تحقيق الشهادتين، شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدًا رسول الله؛ ففي الأولى: أن لا نعبد إلا إياه، وفي الثانية: أن محمدًا هو رسوله المبلغ عنه؛ فعلينا أن نصدق خبره، ونطيع أمره»^(١).

فمن أراد عبادة الله فلا بد له من توفّر الشرطين ولسان حاله يقول: (إياك أريد بما تريد).

قال الفضيل بن عياض رحمته في قوله _ تعالى _: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]. قال: أخلصه وأصوبه.

قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وما أصوبه؟

(١) العبودية، ص ١٧٠.

قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة^(١).

فإذا فُقد الشرطان أو أحدهما بطلت العبادة.

وتوضيح ذلك بالمثال الآتي: لو أن شخصاً صلى لغير الله وعلى صفة غير الصفة التي علمنا إياها رسول الله ﷺ لردت عبادته، لماذا؟ لأنه فقد الشرطين معاً.

كذلك لو صلى كما كان الرسول ﷺ يصلي؛ بحيث أتى بصفة الصلاة كاملة، ولكنها صرفها لغير الله لبطلت عبادته، لماذا؟

لأنه فقد الإخلاص، والله سبحانه يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]. وقال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

كذلك لو صلى لله ولكن على صفة غير الصفة التي علمنا إياها الرسول ﷺ؛ بحيث ابتدع صفة من عنده بطلت عبادته؛ لأنه فقد المتابعة، والرسول ﷺ يقول في الحديث المتفق عليه: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^(٢).

أي مردود، والجار والمجرور في قوله «عليه» متعلق بمحذوف تقديره (حاكماً أو مهيمناً).

(١) انظر العبودية، ص ٧٦.

(٢) مسلم (١٧١٨)، وأحمد ٦/١٤٦.

وفي رواية أخرى للحديث «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»^(١).

وهذان الشرطان في الحقيقة متلازمان؛ فإن من الإخلاص لله أن تتبع النبي ﷺ واتباعه عليه الصلاة والسلام مستلزم للإخلاص.

أهمية الإخلاص والمتابعة

مما يدل على أهمية الإخلاص والمتابعة للذين هما شرطاً لقبول العبادة مايلي:

١- أن الله أمر بإخلاص العبادة له، قال _ تعالى _ : [وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ] (الأعراف: ٢٩).

٢- أن الله _ تعالى _ اختص نفسه بالتشريع، فهو حقه وحده، ومن تَعَبَدَ الله بغير ما شرع فقد شارك الله ﷻ في تشريعه، قال _ تعالى _ :
﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾
[الشورى: ١٣]. وقال: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

٣- أن الله أنكر على من يشرع من عند نفسه، قال _ تعالى _ : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

(١) البخاري ١٦٧/٣، ومسلم (١٧١٨).

٤- أن الله أكمل لنا الدين، ورضيه لنا، قال _ تعالى _ : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فالابتداع في الدين إنما هو في الحقيقة استدراك على الله وعلى رسوله ﷺ واتهام للدين بالنقص.

٥- أنه لو جاز للناس أن يتعبدوا بما شاءوا، كيفما شاءوا لأصبح لكل إنسان طريقته الخاصة بالعبادة، ولأصبحت حياة الناس جحيماً لا يطاق؛ إذ يسود التنافر والتنافر؛ لاختلاف الأذواق، مما يؤدي إلى الشقاق والافتراق؛ والاتباع وترك الابتداع أعظم سبب للاختلاف والاجتماع.

٦- لو جاز للناس أن يعبدوا الله بما شاءوا كيفما شاءوا لترتب على ذلك عدم حاجة الناس إلى الرسل، ولا يقول بهذا عاقل^(١).

(١) الكلام في هذا بعضه مستفاد من مذكرة في التوحيد للشيخ د. عبدالله الجاسر.

أركان العبادة

للعبادة ثلاثة أركان، هي:

١- الحب ٢- الخوف ٣- الرجاء

وجعلها بعض أهل العلم أربعة: الحب، والتعظيم، والخوف، والرجاء.

ولا تعارض بين الأمرين؛ فإن الرجاء ينشأ من الحب، فلا يرجو الإنسان إلا من يحب، وكذلك الخوف ينشأ من التعظيم، فلا يخاف الإنسان إلا من عظيم. وقد أثنى الله على أهل الخوف والرجاء من النبيين والمرسلين فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، ومدح القائمين بذلك من سائر عبادته، فقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِثٌ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩]، وقال: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وقال: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦].

كما أمر ﷺ باستحضار ذلك وقصده فقال: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف: ٥٦].

هذه هي عبادة الأنبياء والمرسلين، وعباد الله المؤمنين، فمن ذا الذي هو أحسن منهم؟ وأكمل من هديهم؟ وهل تقبل دعواه!!؟

الجواب: لا، فالخوف والرجاء متلازمان؛ فكلاهما بريد الفوز بالجنة، والنجاة من النار، فلو سألت من لا يزي من المؤمنين مثلاً مع قدرته على الزنا: لم لا تزني؟ لبادر بقوله: إني أخاف الله، وأرجو ثوابه.

ولو سألت المصلي لم تصلي؟ لقال: خوفاً من الله وطمعاً في ثوابه، وهكذا...
 فغير الله قد يُحِبُّ ولكن لا يُخَاف منه، وقد يُخَاف منه ولكن لا يُحِبُّ.
 أما الله ﷻ فيجتمع الأمران في حقه؛ فيُخَاف ويحب، فلا بد للمؤمن إذاً
 من الجمع بين الحب، والخوف، والرجاء، والتعظيم.

أما العبادة بالحب وحده فلا تكفي، وليست صحيحة؛ لأنها لا تتضمن
 تعظيماً لله، ولا خشيةً منه؛ إذ إن صاحبها يجعل الله سبحانه بمنزلة الوالد
 والصديق، فلا يتورع من اقتراف المحرمات، بل يستهين بها بحجة أن الحبيب لا
 يعذب حبيبه، كما قالت اليهود والنصارى ﴿نَحْنُ أَنْبَاءُ اللَّهِ وَآحِبَّاءُهُ﴾ [المائدة:
 ١٨]، وكما يقول غلاة الصوفية: نحن نعبد الله لا خوفاً من عقابه ولا طمعاً في
 ثوابه، إنما نعبد الله حباً له كما عبر بذلك كثير منهم كرابعة العدوية التي تقول:
 أحبك حبين حبَّ الهوى وحباً لأنك أهل لذاكا
 فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عن سواكا
 وأما الذي أنت أهل له فكشفك لي الحجب حتى أراكا^(١)
 وكما قال ابن عربي:

أدين بدين الحب أي توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني^(٢)
 ولا شك أن هذا مسلك باطل، وطريقه فاسدة، لها آثار وخيمة منها الأمن
 من مكر الله، وغايته الخروج من الملة؛ فالذي يتمادى في التفريط والخطايا
 ويرجو رحمة ربه بلا عمل يقع في الغرور، والأمانى الباطلة، والرجاء الكاذب.

(١) الصوفية في نظر الإسلام: دراسة وتحليل لسميح عاطف الزين، ص ٢٥٧.

(٢) الشعر الصوفي إلى مطلع القرن التاسع للهجرة، د. محمد بن سعد بن حسين ص ١٧٢.

كذلك العبادة بالخوف وحده، دون الحب والرجاء ليست صحيحة، بل هي باطلة فاسدة، وهي طريقة الخوارج الذين لا يجعلون تعبدهم لله مقروناً بالحب، فلا يجدون للعبادة لذة، ولا إليها رغبة، فتكون منزلة الخالق عندهم كمنزلة سلطان جائر، أو ملك ظالم، وهذا مما يورث اليأس أو القنوط من عندهم، وغايته الكفر بالله، وإساءة الظن به، قال ﷺ: «يقول الله ﻋﻠﻴﻜﻢ: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني»^(١).

وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل وفاته بثلاث: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ﻋﻠﻴﻜﻢ»^(٢).

وحسن الظن هو الباعث على العمل؛ الذي يلزم منه تحري الإجابة عند الدعاء، والقبول عند التوبة، والمغفرة عند الاستغفار والإثابة عند العمل. أما ظن المغفرة والإجابة والإثابة مع الإصرار على الذنوب والتقصير في العمل فليس من حسن الظن في شيء، بل هو سفة وجهل وغرور. فلا بد للعابد أن يكون الله أحب إليه من كل شيء، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء؛ فالرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمناً، والخوف يستلزم الرجاء، ولولا ذلك لكان قنوطاً ويأساً، وكل أحد إذا خفته هربت منه إلا الله؛ فإنك إذا خفته فررت إليه، فالحائف من الله هارب إليه قال _ تعالى _: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠].

(١) رواه البخاري مع الفتح (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) رواه مسلم (٢٨٧٧).

وهناك مقولة مشهورة عند السلف، وهي قولهم، من عَبَدَ الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجىء، ومن عبده بالخوف، والرجاء، والحب، فهو مؤمن موحد^(١).

أيهما يُغلب، الرجاء أو الخوف؟^(٢)

الجواب: أنه اختلف في ذلك على أقوال منها:

١- قيل: ينبغي أن يغلب الإنسان جانب الخوف؛ ليحمله ذلك على فعل الطاعة وترك المعصية.

٢- وقيل: يغلب جانب الرجاء؛ ليكون متفائلاً والرسول ﷺ كان يعجبه الفأل.

٣- وقيل: في فعل الطاعة يغلب الرجاء؛ لينبثق إلى العمل؛ فالذي من عليه بالطاعة سيمُنُّ عليه بالقبول، ولهذا قال بعض السلف: إذا وفقك الله للدعاء فانتظر الإجابة؛ لأنه يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وفي فعل المعصية يغلب جانب الخوف؛ لأجل أن يمنعه ذلك من فعل المعصية قال _ تعالى _ : ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ

(١) انظر العبودية، ص ١٢٨.

(٢) انظر الآداب الشرعية لابن مفلح ٣٠/٢ _ ٣٢ والقول المفيد ٥١/١ _ ٥٢ و ١٦٤/٢

_ ١٦٥، وانظر الرسالة التاسعة، ففيها تفصيل للحب، والخوف، والرجاء.

عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ [الأنعام: ١٥].

وهذا قريب ولكن ليس بالقرب الكامل، إذ قد يُعْتَرَضُ عليه بقوله _ تعالى
: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

- ٤- وقيل: يغلب جانب الخوف في الصحة، وجانب الرجاء في المرض.
٥- وقيل: هما كجناحي الطائر، فالمؤمن يسير إلى الله بجناحين هما
الرجاء والخوف، فإذا استويا تم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه
النقص، وإذا ذهب صار الطائر في حد الموت.
٦- وقيل يختلف من شخص إلى شخص، ومن حال إلى حال، والله
أعلم.

«الخوف الواجب والخوف المستحب»

الخوف الواجب هو ما يحمل على فعل الواجبات وترك المحرمات.
والخوف المستحب هو ما يحمل على فعل المستحبات، وترك المكروهات.

أنواع العبادة^(١)

العبادة لها أنواع كثيرة، فبعضها قولي؛ كشهادة أن لا إله إلا الله، وبعضها فعلي؛ كالجهاد في سبيل الله، وإمطة الأذى عن الطريق، وبعضها قلبي؛ كالحياء، والمحبة، والخوف، والرجاء، وغيرها، وبعضها مشترك كالصلاة مثلاً فإنها تجمع ذلك كله.

ومن أنواع العبادة زيادة على ما سبق الزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للمنافقين والكفار، والإحسان إلى الحيوان، والأيتام، والمساكين، وابن السبيل، والمملوك من الآدميين، والدعاء، والذكر، وكذلك الذبح، والنذر، والاستعاذة، والاستغاثة، والاستعانة، والتوكل، والتوبة، والاستغفار.

وهذه العبادات لا يجوز صرفها إلا لله، ومن صرفها لغيره فقد أشرك.

(١) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٣٩ - ٤٢ والإرشاد للشيخ صالح الفوزان، ص ١٩، وانظر عقيدة التوحيد للشيخ محمد خليل هراس ص ٤٧ - ٧٠.

عبودية الخلق لله^(١)

تنقسم عبودية الخلق لله إلى ثلاثة أقسام:

١- عبودية عامة: ويشترك فيها كافة الخلق؛ برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم.

قال _ تعالى _ : ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مریم: ٩٣].

فهذه عبودية الربوبية فالخلق كلهم عبيد لله مريبون له.

٢- خاصة: وهي عبودية الألوهية، وهي عبودية عباد الله الصالحين وهم كل من تعبد لله بشرعه، وأخلص في عبادته.

قال _ تعالى _ : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

ولهذا أضافهم إلى اسمه إشارة إلى أنهم وصلوا إلى هذه الحال بسبب رحمته، وهذه إضافة التشريف.

٣- خاصة الخاصة: وهي أيضاً عبودية الألوهية، وهي للأنبياء والمرسلين

الذين لا يباريهم ولا يدانيهم أحد في عبادتهم لله، قال _ تعالى _ :

﴿وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا﴾ [ص: ٤٥]، وقال عن نوح: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا

شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]، وقال عن داود عليه السلام: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ

(١) انظر القول المفيد ٢٨/١ - ٢٩.

ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿ص: ١٧﴾، وقال عن مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١]، وقال: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩].

فضائل توحيد الألوهية^(١)

توحيد الله، وإفراده بالعبادة أجلُّ النِّعم وأفضلها على الإطلاق، وفضائله وثمراته لا تعد ولا تحد، فضائل التوحيد، كثيرة تنتظم خيري الدنيا والآخرة، ومن تلك الفضائل مايلي:

١- أنه أعظم نعمة أنعمها الله على عباده، حيث هداهم إليه، كما جاء في سورة النحل التي تسمى سورة النعم، فالله ﷻ قدم نعمة التوحيد على كل نعمة، فقال في أول سورة النحل: ﴿يُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

٢- أنه الغاية من خلق الجن والإنس: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

(١) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٣٦ - ٣٩، والقول السديد لابن السعدي، ص ١٦ عند باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب، ومعارض القبول في الحديث عن فضائل الشهادة: ٢٦٨/١ إلى ٢٧١، ولا إله إلا الله للكاتب، ص ١٠ - ٣٥.

٣- أنه الغاية من إنزال الكتب ومنها القرآن، قال _ تعالى _ فيه: ﴿الر كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۗ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۗ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۗ﴾ [هود: ٢-١].

٤- أنه السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة، ودفع عقوبتهما كما في قصة يونس عليه السلام.

٥- أنه يمنع من الخلود في النار، إذا كان في القلب منه أدنى مثقال حبة خردل.

٦- أنه إذا كمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية كما في حديث عتبان في الصحيحين؛ قال عليه السلام: «فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»^(١).

٧- حصول الاهتداء الكامل، والأمن التام لأهله في الدنيا والآخرة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

٨- أنه السبب الأعظم لنيل رضا الله وثوابه.

٩- أن أسعد الناس بشفاعة محمد عليه السلام من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه.

١٠- أن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها وفي ترتيب الثواب عليها على التوحيد، فكلما قوي التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت.

(١) البخاري ١/١١٠، ومسلم ١/٦١١.

- ١١- أنه يسهل على العبد فعل الخيرات، وترك المنكرات، ويسليه عن المصيبات؛ فالمخلص لله في إيمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات؛ لما يرجوه من ثواب ربه ورضوانه، ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي؛ لما يخشى من سخطه وأليم عقابه.
- ١٢- أن التوحيد إذا كمل في القلب حبب الله لصاحبه الإيمان، وزينته في قلبه، وكره إليه الكفر، والفسوق والعصيان، وجعله من الراشدين.
- ١٣- أنه يخفف على العبد المكاره، ويهون عليه الآلام؛ فبحسب تكميل العبد للتوحيد والإيمان يتلقى المكاره والآلام بقلب منشرح، ونفس مطمئنة، وتسليم ورضا بأقدار الله المؤلمة.
- ١٤- أنه يحرر العبد من رق المخلوقين، ومن التعلق بهم، وخوفهم، ورجائهم، والعمل لأجلهم.
- وهذا هو العز الحقيقي، والشرف العالي، فيكون بذلك متأهلاً متعبداً لله، فلا يرجو سواه، ولا يخشى غيره، ولا ينيب إلا إليه، ولا يتوكل إلا عليه، وبذلك يتم فلاحه ويتحقق نجاحه.
- ١٥- ومن فضائله التي لا يلحقه فيها شيء أن التوحيد إذا تم وكمل في القلب، وتحقق تحققاً كاملاً بالإخلاص التام فإنه يُصَيِّر القلب من العمل كثيراً، وتضاعف أجور صاحبه بغير حصر ولا حساب.
- ١٦- أن الله تكفل لأهله بالفتح والنصر، والعز والشرف، وحصول الهداية، والتيسير لليسرى، وإصلاح الأحوال، والتسديد في الأقوال والأفعال.

١٧- أن الله يدافع عن الموحدين شرور الدنيا والآخرة، ويمن عليهم بالحياة الطيبة، والطمأنينة إليه وبذكره.
وشواهد ذلك من الكتاب والسنة كثيرة، فمن حقق التوحيد حصلت له هذه الفضائل كلها وأكثر منها، والعكس بالعكس.

أسباب نمو التوحيد في القلب

التوحيد شجرة تنمو في قلب المؤمن، فيسقى فرعها، ويزداد نموها، ويزدان جمالها كلما سقيت بالطاعة المقربة إلى الله ﷻ، فتزداد بذلك محبة العبد لربه، ويزداد خوفه منه، ورجاؤه له، ويقوى توكله عليه، وبهذا يكتمل التوحيد ويتحقق؛ فليس تحقيقه بالتمني، ولا بالدعوى الخالية من الحقائق.

وإنما يتحقق بما وقر في القلب من عقائد الإيمان، وحقائق الإحسان، وصدقته الأخلاق الجميلة، والأعمال الصالحة الجليلة.

ومن الأسباب التي تنمي التوحيد في القلب ما يلي^(١):

- ١- فعل الطاعات؛ رغبة بما عند الله.
- ٢- ترك المعاصي؛ خوفاً من عقاب الله.
- ٣- التفكير في ملكوت السموات والأرض.
- ٤- معرفة أسماء الله وصفاته ومقتضياتها وآثارها، وما تدل عليه من الجلال والكمال.

(١) انظر مدارج السالكين لا بن القيم ١٨/٣ - ١٩.

- ٥- التزود من العلم النافع، والعمل به.
- ٦- قراءة القرآن بالتدبر، والتفهم لمعانيه وما أريد به.
- ٧- التقرب إلى الله _ تعالى _ بالنوافل بعد الفرائض.
- ٨- دوام ذكر الله على كل حال؛ باللسان والقلب.
- ٩- إثارة ما يحبه الله عند تراحم المحاب.
- ١٠- التأمل في نعم الله الظاهرة والباطنة، ومشاهدة بره وإحسانه، وإنعامه على عباده.
- ١١- إنكسار القلب بين يدي الله، وافتقاره إليه.
- ١٢- الخلوة بالله وقت النزول الإلهي حين يبقى ثلث الليل الأخير، وتلاوة القرآن في هذا الوقت، وحثُّ ذلك بالاستغفار، والتوبة.
- ١٣- مجالسة أهل الخير والصلاح، والإخلاص، والمحبين لله ﷻ والاستفادة من كلامهم وسمتهم.
- ١٤- الابتعاد عن كل سبب يحول بين القلب وبين الله من الشواغل.
- ١٥- ترك فضول الكلام، والطعام، والخلطة، والنظر.
- ١٦- أن يحب العبد لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه، وأن يجاهد نفسه على ذلك.
- ١٧- سلامة القلب من الغل للمؤمنين، وسلامته من الحقد، والحسد، والكبر، والغرور، والعجب.
- ١٨- الرضا بتدبير الله ﷻ.
- ١٩- الشكر عند النعم، والصبر عند النقم.

- ٢٠- الرجوع إلى الله عند ارتكاب الذنوب.
- ٢١- كثرة الأعمال الصالحة من بر، وحسن خلق، وصلة أرحام، إلى غير ذلك.
- ٢٢- الاقتداء بالنبي ﷺ في كل صغيرة وكبيرة.
- ٢٣- الجهاد في سبيل الله.
- ٢٤- إطابة المطعم.
- ٢٥- الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

طرق الدعوة إلى توحيد الألوهية

في القرآن الكريم^(١)

تنوعت طرق الدعوة إلى توحيد الألوهية وأساليبها في القرآن الكريم، فمن ذلك ما يلي:

- ١- أمره سبحانه بعبادته، قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].
- ٢- النهي عن عبادة مَنْ سواه كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

(١) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٣٨ - ٣٩. دعوة التوحيد لله، ص ٣٩ - ٤٥، والإرشاد في صحيح الاعتقاد للشيخ صالح الفوزان، ص ٢٥ - ٢٨، والشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة ص ١٥٤ - ١٥٦.

- ٣- إخباره سبحانه وتعالى أنه خلق الخلق لعبادته كما في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].
- ٤- إخباره أنه أرسل الرسل بالدعوة إلى عبادته، والنهي عن عبادة من سواه كما في قوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].
- ٥- الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية؛ فإذا كان الله _ تعالى _ هو الخالق الرازق الذي أنعم عليك بالنعم الظاهرة والباطنة ولم يشاركه في ذلك مشارك فعليك أن لا تتأله لغيره، ولا تتعبد لسواه، ويلزمك أن تخصصه بالتوحيد كما قال _ تعالى _ : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].
- ٦- الاستدلال على وجوب عبادته بكونه النافع، الضار، المعطي، المانع؛ فمن اتصف بهذه الصفات فهو المعبود بحق ولا معبود بحق سواه.
- ٧- الاستدلال على وجوب عبادته بانفراده بصفات الكمال، وانتفاء ذلك عن آلهة المشركين، كما في قوله _ تعالى _ : ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].
- وقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].
- وقوله عن خليفه عليه السلام أنه قال لأبيه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢].

٨- الاستدلال على وجوب عبادته بدقة صنعه سبحانه وتعالى فكلمة تدبر العاقل ذلك، وتغلغل فكره فيه، وازداد تأمله في ذلك علم أنه هو المستحق للعبادة.

٩- الاستدلال على وجوب عبادته بتعدد نعمه، فإذا علم أن ما بالعباد من نعمة فمن الله وحده وأن أحداً من المخلوقين لا ينفع أحداً إلا بإذن الله، وأن الله هو النافع الضار علم أن الله هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

١٠- تعجيزه لآلهة المشركين كقوله _ تعالى _ : ﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ (١٩٢) [الأعراف: ١٩١-١٩٢]، وقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ (٥٦) [الإسراء: ٥٦]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الظَّالِمِينَ وَالْمُطَلَبُونَ﴾ (٧٣) [الحج: ٧٣].

١١- تسفيه المشركين الذين يعبدون غير الله، كما في قوله _ تعالى _ : ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ (٦٦) أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٧٧) [الأنبياء: ٦٦-٦٧]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠].

- ١٢- بيان عاقبة المشركين الذين يعبدون غير الله، وبيان مآلهم مع من عبدوهم، حيث تنبرأ منهم تلك المعبودات في أخرج المواقف كما قال _ تعالى _ : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّنَا كَرَّرْنَا فَتَنَّاكَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأْنَا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ [البقرة: ١٦٥-١٦٧]، وقوله: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].
- ١٣- بيان مصير الموحدين وعاقبتهم في الدنيا والآخرة كما قال عن إمامهم إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠]، وقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].
- ١٤- رده على المشركين باتخاذ الوسائط بينهم وبين الله بأن الشفاعة ملك له سبحانه لا تطلب من سواه، ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، وبعد رضاه عن المشفوع له، قال سبحانه: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٤٣-٤٤]، وقال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

١٥- بيان أن هؤلاء المعبودين من دون الله لا يحصل منهم نفع لمن عبدهم من جميع الوجوه كما قال _ تعالى _ : ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣].

١٦- ذكر البراهين والأمثلة الدالة على بطلان الشرك، وسوء عاقبته، مما يجعل النفوس السليمة تنفر منه، قال _ تعالى _ : ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

علاقة توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية^(١)

أنواع التوحيد متلازمة، وبعضها مرتبط ببعض، وفيما يلي يتبين لنا شيء من علاقة توحيد الألوهية؛ بتوحيد الربوبية والعكس:

١- توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية؛ بمعنى أن الإقرار بتوحيد الربوبية يوجب الإقرار بتوحيد الألوهية؛ فمن عرف أن الله ربه وخالقه ومدبر أموره، وقد دعاه هذا الخالق إلى عبادته وجب عليه أن يعبده وحده لا شريك له؛ فإذا كان هو الخالق الرازق النافع الضار وحده لزم إفراده بالعبادة.

(١) انظر الإرشاد ص ٢١ - ٢٣.

- ٢- توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية بمعنى أن توحيد الربوبية يدخل ضمناً في توحيد الألوهية، فمن عَبَدَ الله وحده لا شريك له فلا بد أن يكون معتقداً أنه ربه وخالقه ورازقه؛ إذ لا يعبد إلا من بيده النفع والضرر، وله الخلق والأمر.
- ٣- الربوبية عمل قلبي لا يتعدى القلب، ولذا سمي توحيد المعرفة والإثبات، أو التوحيد العلمي.
- أما الألوهية فهو عمل قلبي وبدني، فلا يكفي فيه عمل القلب، بل يتعداه إلى السلوك والعمل قصداً لله وحده لا شريك له.
- ٤- أن توحيد الربوبية لا يكفي وحده؛ ذلك لأن توحيد الربوبية مركز في الفطر، فلو كان كافياً لما احتاج الناس إلى بعثة الرسل، وإنزال الكتب، فلا يكفي أن يقر الإنسان بما يستحق الرب_تعالى_ من الصفات، وأنه الرب الخالق وحده.
- ولا يكون موحداً إلا إذا شهد أن لا إله إلا الله، فيقر بأن الله هو المألوه المعبود وحده، ويعبده بمقتضى هذه المعرفة.
- ٥- توحيد الألوهية هو الذي جاءت به الرسل، وهو الذي حصل به النزاع بين الرسل ﷺ وبين أممهم، كما قال قوم هود لنبیهم هود عليه السلام عندما قال لهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].
- ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤَنَا﴾ [الأعراف: ٧٠].

وكما قال كفار قريش لما أمروا بإفراد الله بالعبادة: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ [ص: ٥].

أما توحيد الربوبية فإنهم لم ينكروه، بل إن إبليس لم ينكره ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩].

٦- أهما إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، ومعنى ذلك أنهما إذا ذكرا جميعاً فلكل لفظ ما يراد به، كما في قوله _ تعالى _ : ﴿قُلْ أَعوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ١ مَلِكِ النَّاسِ ٢ إِلَهِ النَّاسِ ٣﴾ [الناس: ١-٣].

فيكون معنى الرب: هو المالك المتصرف، وهذا توحيد الربوبية، ويكون معنى الإله: المعبود بحق المستحق للعبادة دون سواه وهذا توحيد الألوهية.

وتارة يذكر أحدهما مفرداً عن الآخر فيجتمعان في المعنى؛ كما في قول الملكين للميت في القبر: «من ربك؟ ومعناه: من إلهك؟» وكما في قوله _ تعالى _ : ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠]، وقوله: ﴿قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ أُنْبِيَّ رَبَّابًا﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وقوله عن الخليل عليه السلام: ﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨] وكما في قوله _ تعالى _ : ﴿أَمَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَدَّكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

٧- لا بد لسلامة التوحيد، والفوز بالدارين من تحقيق هذين الأمرين.

ما ضد توحيد الألوهية؟

- ١- الشرك؛ الذي يذهب به بالكلية.
- ٢- البدع؛ التي تذهب بكماله الواجب.
- ٣- المعاصي؛ التي تقدح فيه، وتنقص ثوابه.

الفرق التي أشركت في توحيد الألوهية

الفرق التي أشركت في هذا النوع من التوحيد كثيرة منها:

- ١- اليهود: الذين عبدوا العجل، ولا يزالون يعبدون الدرهم والدينار؛ فللمال هو معبودهم.
- ٢- النصارى: لادعائهم ألوهية المسيح عليه السلام وعبادتهم له.
- ٣- الرافضة: لدعائهم علياً، والعباس عليه السلام وغيرها من آل البيت.
- ٤- النصيرية: لعبادتهم علياً عليه السلام وزعمهم أنه الإله ^(١).
- ٥- الدرروز: لقولهم بألوهية الحاكم بأمر الله العبيدي ^(٢).

(١) انظر: الباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية (العلوية) لسليمان أفندي الأذني، دار الصحوة، ص٣٦، وانظر إلى: النصيرية لسهر الفيل، دار المنار، ص ٤٧ - ٤٨.

(٢) انظر إلى: عقيدة الدرروز، عرض ونقض، د. محمد أحمد الخطيب، ص ١١٧ - ١٣٥، دار عالم الكتب.

٦- غلاة الصوفية، وعباد القبور: لغلوهم في الأولياء، وصرف النذور،
والقرايين لأصحاب القبور، وطوافهم حول القبور إلى غير ذلك من
القربات التي تصرف لأصحابها.